جامعة المنصورة
كلية الآداب

إزدهار مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة
(١٢٤- ٢٩٦هـ/ ٧٤٢- ٩٠٩م)

إعـــداد
د / عودة حسان عواد ابو شيخة
أستاذ مساعد بقسم التاريخ
كلية التربية جامعة عين شمس

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الرابع والستون – يناير ٢٠١٩

إزدهار مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة
(١٢٤- ٢٩٦هـ/ ٧٤٢- ٩٠٩م)

د / عودة حسان عواد ابو شيخة

مقدمـــــة:

أستنزف الوندال ومن بعدهم البيزنطيون الموارد الطبيعية للشمال الإفريقي ومن ثم عانى أهله إبان فترتي الإحتلال، وعندما جاء العرب إلى الشمال الإفريقي زادت الأمور سوءا بسبب الحروب التي دارت بين العرب الفاتحين والبيزنطيين المحتلين وبسبب إضطراب الأمن وإنتشار اللصوصية وقطع الطريق. وتم فتحه في العصر الأموي، والخلافة الأموية دولة بدوية لم تأخذ بنصيب من الحضارة حتى أن حكامها لم يتخذوا الألقاب مثلما فعلت الخلافة العباسية على حد تعبير ابن خلدون، ناهيك أن الدولة الأموية لم يلتزم عمالها بالشرائع الإسلامية في المساواة بين العرب والعجم المسلمين؛ فبداوة الدولة الأموية لم تقدم شيئاً لأهل بلاد المغرب لتصلح من أحوالهم الاقتصادية أو ترتقي بهم على المستوى الاجتماعي أو تعلمهم شيئاً من النظم السياسية، بل إستهان بعض الولاة بهم، وإستولى آخر على مصادر إقتصادياتهم، وفرض ثالث من الضرائب ما ناءت به قدراتهم، في وقت تسرب فيه فكر فرق الخوارج إليهم، وجعلهم يشعرون بالظلم؛ فإنفجر مرجل الغضب، وثاروا على ولاة الخلافة الأموية سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م.

إستمرت المعارك بين الطرفين ما يربو على عامين؛ فقضت على البقية الباقية من مصادر البلاد الاقتصادية، وعم الفقر البلاد وحاق العوز بالعباد، ولكن من باطن البلاء حققوا المنحة؛ بأن قلصوا سلطان الخلافة الإسلامية عن المغربين الأقصى والأوسط في آن، وأمست منطقة فراغ سياسي، مما شجع الطامحين من أهل البلاد أو القادمين إليها من المشرق إلى تكوين كيانات سياسية مستقلة في صورة إمارات أو دول كانت بعضها بدائية قبلية، وأخرى تحت زعامة مشرقية، فكان لها نصيب من النظم السياسية، وإن إختلفت في نظمها إلا أنها تماثلت في بناء مدن جديدة لتكون عواصم لها، وأنها بسطت سلطانها على رعاياها، وسالمت بعضها أول قيامها؛ فساد الأمن ربوع البلاد وعملت على تعبيد الطرق الداخلية وتأمينها؛ فإنتعشت حركة التجارة

الداخليـة، وإجتـازت الصـحراء الكبـرى إلـى بلاد السودان بعد أن حفرت الآبار، وحددت طرق القوافل، مع تواجد حرس لهذه القوافل لتأمينهـا عبـر الصـحراء؛ فتوهجـت حركـة التجـارة، وعـلا ضـجيجها، وتسـامعت دول العـالم الإسـلامي بهـا، وحرصـوا علـى نيـل نصـيب منهـا، وجـاء إلـى عواصـم الـدول المستقلة ببلاد المغرب التجار من مختلف البلدان حاملين بضائعهم ومعها حضارتهم وعاداتهم الاجتماعية، وما حازوه من ثقافات متنوعة.

حرصت الدول المستقلة من جانبها على المشاركة في هذه التجارة ببضائعها فاهتمت بالزراعة والري، وأدخلت محاصيل جديدة في إنتاجها، وخاصة المحاصيل النقدية وإهتمت بالإنتـاج الحيـواني مـن الإبـل وسـيلة حمـل البضائع خاصة عبر الصحراء الكبرى، والخيل وسيلة الحماية، والأغنام والماشية لسد حاجة التجار وكبضائع تشارك بها في حركة التجارة، وإزدهرت الصـناعات أيضـا مثـل قتـب الإبـل وسروج الخيل، والمنسوجات وصباغتها والجلود ودباغتهـا، ولـم يغفلـوا التعـدين خاصـة الملـح البضـاعة الأساسـية فـي تجـارتهم مـع بـلاد السـودان. طـور الحكـام مـن الـنظم السياسـية لدولهم بما إكتسبوه من خبرات، وبما عرفوه من الوافدين، وعملت القبائل الضاربة في التخوم بين الدول المستقلة التي تضعف سلطة الدولة عليهـا علـى محاكـاة الـدول، وعقـدوا إتفاقيـات تجارية مع التجار، وأقاموا في مضاربهم مدنا تجاريـة بمسـاعدة التجـار الوافـدين وخاصـة التجار الأندلسيين مما يفصح عن تنامي الفكر السياسـي عنـد زعمـاء هـذه القبائـل. أمـا علـى الصـعيد الاجتمـاعي والثقـافي والحضـاري، حـرص أهـل بـلاد المغـرب علـى راحـة التجـار لتشجيعهم على القدوم، مازودوا به مدنهم من وسـائل الراحـة مـن خانـات تسـع التجـار وبضـائعهم، وحمامـات ومستشـفيات، ومبـاني، فأوجـدوا وظـائف للرعايـا وحصـلوا مـن التجـار علـى بعـض مكاسـبهم عـلاوة علـى ثقافـاتهم وعـاداتهم الاجتماعيـة فإزدهرت البلاد، وإغتنـى العباد.

مـن هنـا كانـت أهميـة هـذه الدراسـة فـي محاولـة لإستجلاء أحـوال المجتمـع المغربـي علـى كافـة الأصـعدة الاقتصـادية والسياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة واسـتقراء مظـاهر إزدهاره عصر الدول المستقلة.

شـهد مجتمـع المغـرب إزدهـارا ملحوظًـا عصـر الـدول المستقلة، بسبب مـا حـازه مـن ثـراء اقتصـادي ونهضـة عمرانيـة مدنيـة، وتطـور فكـري ثقـافي دفـع أهلـه للرغبـة فـي المشـاركة السياسـية، بحيـث يمكـن القـول أن التغيـر السياسـي والاجتمـاعي الـذي شـهدته

الدول الإسلامية في العصور الوسطى، قد أثر في مجتمع المغرب آنذاك، وإن إرتكن هذا التغير والتطور الاجتماعي على خلفية إقتصادية، فالعلاقة وثيقة بين الإزدهار الاقتصادي والتطور الاجتماعي، إذ إزدهرت اقتصاديات معظم مدن بلاد المغرب بعد أن استقرت الدول المستقلة وبات لها نظمها السياسية وإزداد ثراء أهلها بمشاركتهم في حركة التجارة التي مهدت للدول المستقلة طرقها، وخبت العصبية القبلية أو التعصب المذهبي[١]، مما نجم عنه تحول أهل المغرب وقبائله إلى حياة الاستقرار والبعد عن البداوة والترحال، وأسسوا القصور ومن قبلها المدن التي أمست عواصم للدول المستقلة، وأتسع عمران هذه المدن مثل سجلماسة التي اتصلت مبانيها ببعضها البعض، وإزداد إتساع العمران فيها[٢].

الأوضاع الاقتصادية قبيل قيام الدول المستقلة ومظاهر تطورها وإزدهارها :

معلوم تدهور الأوضاع الأقتصادية في بلاد المغرب قبيل قيام الدول المستقلة، بسبب ثورات أهل البلاد وحروبهم مع جيوش الخلافة، ولم تكن النهضة الإقتصادية التي عاشها المجتمع المغربي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عشية قيام الدول المستقلة، وإنما بعد استقرارها وإقرار نظمها، لأنه من المعلوم تأثر الأوضاع الإقتصادية بالأوضاع السياسية والحروب التي عانى منها المجتمع المغربي قبل ذلك؛ إذ استولى الرومان والوندال من بعدهم، ثم الأمبراطورية البيزنطية على موارد بلاد المغرب، وحرص الرومان على الاحتفاظ بإفريقية وبلاد المغرب لتظل مزرعتهم الكبرى[٣]، لتكون لهم حقلاً ينتج لهم الحبوب والزيوت[٤]، وبسبب وطأة المحتل وإستنزافه موارد البلاد تدهورت الزراعة، إذ أن المزارعين في المغرب أكثر تأثرا بحالة الأمن، فتعمر قراهم وقت السلم والإستقرار وتخرب قراهم في أوقات الحروب واضطراب الأمن، فيضطرون إلى هجرها[٥]، وذلك لعدم إهتمام المحتلين بشق القنوات وتخصيب التربة أو استصلاح أراضي زراعية جديدة فأضمحلت الزراعة[٦].

عانت بلاد المغرب بعد ذلك من حروب الفتح والاضطراب السياسي؛ إذ انشغل معظم أهله بالحروب ومن ثم تدهورت الزراعة وساهمت الكاهنة بقسط وافر في هذا التدهور، حينما أقدمت على تدمير المزارع والمدن حتى ييأس العرب منها، لاعتقادها أنهم طلاب مال وغنائم وذهب

وفضة[٧]، فضلا عن أن التخلف الزراعي يمكن رده إلى بداوة سكان الشمال الإفريقي بعامة ومن ثم ظلت أدوات الزراعة عندهم بدائية أو الأمر، وعندما جاءهم العرب أول أمرهم لم يقدموا لهم جديدا بسبب بداوتهم، وهو ما فطن له ابن خلدون: "من أن العرب أهل انتهاب وعبث يهاجمون البسائط متى اقتدروا عليها ويرددون عليها الغارة والسلب والنهب والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية وحيلتهم عدم الانقياد للسياسة، وهذه الطبيعة منافية للعمران"[٨]، لذا أمحلت الأرض وهجرها المزارعون وأنعكس ذلك على النشاط الاقتصادي لأهل البلاد، وإقتصر الإنتاج على المتطلبات الأساسية للسكان مثل الحبوب، فزرع أهل برقة الحنطة والشعير وغيرها من الحبوب[٩]، وإهتم أهل إفريقية والمغرب بزراعة المحاصيل التي تسد حاجتهم كالذرة[١٠].

زرع أهل زويلة القمح والشعير، وفاقت جزيرة جربة غيرها من المناطق في زراعة الشعير بسبب إعتماد أهلها في الزراعة على مياه الآبار التي قاموا بحفرها[١١]، وأهتم أهل الزاب مثل غيرهم بحرفة الزراعة لسد حاجاتهم، فزرع أهل طبنة القمح والشعير والحنطة[١٢]، ولكي يتغلب أهل المغرب على ما واجهوه من صعاب إقتصادية قبيل قيام الدول المستقلة إهتموا بزراعة النخيل وجمع التمور وزراعة العنب والزيتون والتين وغيرها لسد حاجاتهم الضرورية من التمور والفاكهة، فضلاً عن اهتمام أهل بلاد الجريد بإنتاج الفاكهة والنخيل والتمورحتى أن تلك المنطقة أخذت أسمها من كثرة النخيل بها[١٣]، وانتشرت زراعة هذه المحاصيل في بقية مدن بلاد المغرب للتغلب على ما واجه أهل البلاد من أزمات اقتصادية بلغت حد المجاعات في بعض الأحيان[١٤].

عمل أهل المغرب أيضا بحرفة الرعي وتربية الحيوان لسد حاجاتهم قبيل قيام الدول المستقلة فكانت حرفة الرعي مصدر رئيسي لمعيشتهم بما توفره من ألبان ولحوم وأصواف الأغنام والإبل، لسد حاجاتهم الضرورية من مأكل وملبس، وأهتم أهل المغرب أيضا بتربية الأبقار[١٥]، والخيول وشجعهم على ذلك كثرة المراعي والسهول الخضراء، ناهيك عن حاجتهم لهذه الخيول الأصيلة؛ إذ يستخدمونها في الحروب، ومن ثم استنتجوا أفضل أنواعها[١٦]، ونظرا لحاجة أهل المغرب للتنقل والترحال ما بين الظعين والانتجاع وتفاديا لما يواجههم من غارات وحروب؛ فقد أهتموا بتربية البغال والحمير

والإبل[١٧]، واستنتاج أفضل أنواعها، وبجانب حرفة الرعي، أهتم مجتمع المغرب بحرفة الصيد البري، فاصطادوا الكثير من الحيوانات البرية، فضلاً عن أنواع الطيور المختلفة وأهمها النعام[١٨]، ولم يغفل أهل المغرب الاهتمام بحرفة الصيد البحري لسد حاجتهم من الأسماك بأنواعها المختلفة، بالإضافة لإشتغالهم بصيد الحوت في كثير من مدن بلاد المغرب[١٩].

اقتصرت الصناعة أيضا على الصناعات اليدوية مثل صناعة الصوف ونسجه والجلد ودبغه لحاجتهم إلى الصوف في الملبس والمسكن لأنهم أهل وبر وكانت هذه الصناعة أغلب وأشهر السلع في بلاد المغرب؛ "لما هم عليه من حال البداوة"[٢٠]، فلم يهتموا بتطوير الآلات المستخدمة وما هي عليه من تخلف، ورغم ذلك وجدت صناعة الثياب والعمائم في معظم بلاد المغرب ومنها مدينة قفصة[٢١]، كما أشتغل أهل طرابلس بنسج الصوف وصناعة الأكسية الصوفية[٢٢]، واعتمد أهل المغرب أيضا وخاصة أهل اجدابية في ملبسهم على غزل الصوف ونسجه وصناعة الأكسية[٢٣]، وفي الغالب الأعم اعتمد أهل المغرب على الصناعات البدائية التي اعتمدت على الإنتاج الزراعي مثل استخراج الزيت وعصره وانتشرت تلك الصناعات البدائية في معظم مدن المغرب ومنها زويلة وصفاقس[٢٤] وغيرها، ولم يكن هناك آلات تستخدم لإستخراج المعادن من باطن الأرض وإنما اقتصر الاستخدام على ما هو موجود على سطح الأرض دون الغوص في باطنها، ومن ثم لم تستغل تلك الخامات وإنما ظلت كما هي بسبب بدائية الآلات المستخدمة[٢٥].

توقف النشاط الاقتصادي من زراعي وصناعي قبيل عصر الدول المستقلة على سد الحاجات الضرورية لمجتمع المغرب، ومن ثم لم يعد هناك فائض من الإنتاج يساعد على النهوض بحركة التجارة سواء التجارة الداخلية أو التجارة الخارجية؛ ولم يكن حالها أفضل من حال الزراعة والصناعة؛ وربما كانت أقل في نموها منهما؛ خاصة أن التجارة سواء الداخلية أو الخارجية تتطلب فرض الأمن والاستقرار علاوة على إنتشار اللصوصية وقطاع الطرق بسبب طبيعة البدو من أهل البلاد، وهذا لم يحدث في دول المغرب إلا بعد قيام الدول المستقلة في أقسام بلاد المغرب الثلاثة وخاصة في تاهرت[٢٦]

وسجلماسة[٢٧]، وتفاقم تدهور حركة التجارة بسبب الحروب والصراعات التي صاحبت حركة الفتوحات في بلاد المغرب، ناهيك عن تمرد الجند وثوراته حتى وصل بهم الأمر إلى الاستيلاء على القيروان في كثير من الأحيان[٢٨]، وأثر على حركة التجارة أيضا عدم انتشار الإسلام في جنوبي الشمال الإفريقي ومنطقة الصحراء الكبرى خاصة والتي كان يصعب اجتيازها على أهل الشمال الإفريقي حتى قيام الدول المستقلة.

تسجل المصادر أن أول من أهتم بالتجارة ومحاولة تأمين طرقها مع بلاد السودان وجنوبي بلاد المغرب هو عبدالرحمن بن حبيب في أخريات النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي؛ إذ قام بتعبيد الطرق وحفر الآبار حتى مدينة أودغشت[٢٩]، وأفضى ذلك إلى بداية تنشيط حركة التجارة مع جنوب بلاد المغرب وبلاد السودان ثم إزدهار مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة واستقرار نظمها وفرض الأمن في ربوع البلاد واسفرت جهود عبدالرحمن بن حبيب عن الطريق التجاري الوحيد الذي يسير بجوار الساحل الذي يحاذي المحيط الأطلسي[٣٠]، وبعد حفر الآبار وتمهيد الطرق نشطت حركة التجارة في بلاد المغرب بعد الاستقرار السياسي للدول المستقلة، وجهودها في تمهيد الطرق وتأمينها، الذي أخذ عقودا حتى إزدهر مجتمع بلاد المغرب بأقسامه الثلاث مع بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وخاصة المنطقة الممتدة من تاهرت حتى وادي ملوية بالمغرب الأوسط ومن بعده المغرب الأقصى الذي يشمل المنطقة المحصورة بين وادي ملوية شرقاً، حتى مدينة أسفي على المحيط الأطلسي وجبال درن جنوبا[٣١]. وسيطرت الدول المستقلة على بلاد المغرب، فقامت أمارة برغواطة غربي المغرب الأقصى، وإمارة بني مدرار في جنوبي المغرب الأقصى ودولة الأدارسة في شماليه، وسيطرت الدولة الرستمية على المغرب الأوسط ودولة الأغالبة على إفريقية.

ازدهرت أحوال مجتمع المغرب على كافة الأصعدة، فعلى الصعيد الاقتصادي جنى أهل المغرب أرباحا طائلة من وراء حركة التجارة وعلى الصعيد السياسي وفرت لأهله استقرارا سياسيا وأمنا ساعد بدوره على الأهتمام بالإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي والتعديني، ونشطت العلاقات

بين مدن بلاد المغرب وزاد الفائض من الإنتاج عن الحاجة، مما أدى إلى إزدهار حركة التجارة الخارجية بين بلاد المغرب والبلدان الأخرى ناهيك عن اهتمام مجتمع المغرب بالمحاصيل النقدية التي ارتقت بحركة التجارة؛ فأهتم أهل المغرب بزراعة القطن والكمون والكراوية خاصة في سجلماسة[٣٢]، ودرعة، كما أهتم أهل تاهرت بزراعة الكتان والسمسم[٣٣]، وزرع أهل المغرب القطن في منطقة أم الربيع[٣٤]، وكذلك في ربوع منطقة تادلا والمناطق المحيطة بمدينة سجلماسة[٣٥]، وواكب الأزدهار في الإنتاج الزراعي، الإنتاج الحيواني، فأهتم أهل البلاد بالإنتاج الحيواني وتوفير متطلبات التجارة من الإبل والدواب والماشية والأغنام والخيول والبراذين[٣٦] وغيرها، ونجم عن إزدهار الإنتاج الزراعي الإنتاج الحيواني أن قامت صناعات كان لها دورها في إزدهار حركة التجارة مثل صناعة المنسوجات الصوفية التي أنتج أهل المغرب أفضل أنواعها[٣٧]، وازدهرت صناعة المنسوجات بسبب اهتمام أهل المغرب بزراعة مواد الصباغة مثل النيلة وغيرها[٣٨].

أقدم اهل المغرب بعد استقرار الدول المستقلة على تطوير حرفة التنقيب عن المعادن فنجحوا في الوصول إلى باطن الأرض واستخراج المعادن واستغلالها لتوفير متطلبات التجارة وخاصة الملح الذي تحتاجه بلاد السودان[٣٩]، حتى حق للبعض القول بأن "المسافر إلى داخل السودان لا يحمل معه زاد ولا إداما ولا درهما ولا دينار، بل يحمل قطع الملح"[٤٠]، ومع تطور التنقيب عن الملح ازداد الاهتمام بالبحث عن المعادن الأخرى، ومن ثم استخرج أهل المغرب النحاس والحديد من منطقة السوس[٤١]، كما قام أهل المغرب عصر الدول المستقلة بتصنيع المعادن للتبادل التجاري، ومع إزدهار حركة التجارة، ازدهر مجتمع المغرب خاصة بعد أن قام أهله بتأسيس محطات تجارية في المناطق الصحراوية التي كانت غير موجودة قبل قيام الدول المستقلة، وأسس أهل المغرب أيضا جنوب سجلماسة قصورا كانعكاس لازدهار الأوضاع الاقتصادية والمالية لأهله، فأمست تلك القصور محطات تجارية يأوي إليها التجار المترددين بين بلاد المغرب وبلاد السودان[٤٢]، فاتسع العمران

وكثرت المباني لأهل المغرب بسبب ما حققه أهل المغرب من ثراء وإزدهار.

حقق مجتمع المغرب نهضة كبيرة عصر الدول المستقلة، بسبب ما حازه من ثروات على الصعيد الاقتصادي وبسبب حركة التجارة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وذكر البعض أن أحد التجار المغاربة كان له صكاً على آخر بلغت قيمته أربعون ألف دينار(٤٣)، وصكاً آخر لأحد تجار المغرب على آخر باثنين وأربعين ألف دينار(٤٤)، ومما سبق يتضح الفرق الشاسع الذي طرأ على مجتمع المغرب قبيل الدول المستقلة من أوضاع اقتصادية كانت متردية على كافة الأصعدة من زراعة وصناعة وتعدين وتجارة، وبين التطور والازدهار الذي ظهر واضحا على مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة بسبب ما فرض من أمن واستقرار سياسي دفع مجتمع المغرب إلى التحول في الثراء الذي واكب الازدهار التجاري، ناهيك عن تأسيس مدن تجارية جديدة ساهمت في إزدهار حركة التجارة الداخلية والخارجية بما قدمت من إنتاج زراعي ورعوي وتعديني، وصناعي وتجاري، انعكس هذا كله على أهلها مثل مدينة فاس وسجلماسة وتاهرت ووهران التي ظهرت آثار النعمة والغنى على أهلها، ناهيك عن سمات الحضارة والرفاهية(٤٥)، فضلاً عن أن كثير من أهل بلاد المغرب اقتنوا العبيد والخيول وأسسوا القصور(٤٦)، فاتسع العمران وزاد الثراء مما جعل مجتمع المغرب يزدهر عصر الدول المستقلة ويأخذ بنصيب وافر من الحضارة والرفاهية.

ملامح النضج السياسي لمجتمع المغرب عصر الدول المستقلة:

تطور مجتمع المغرب على الصعيد السياسي عصر الدول المستقلة وأصبح لدى كثير من طبقاته وأفراده طموحات سياسية لم تكن معروفة قبل ذلك نتيجة الثراء الأقتصادي الذي تحقق ودفع أهل المغرب للتفكير في الاستئثار بالسلطة أو المشاركة فيها بنصيب، ولكي يتضح هذا التطور السياسي لمجتمع المغرب ورغبته في المشاركة السياسية لابد من معرفة أحواله السياسية قبيل قيام الدول المستقلة وما كان عليه من تردي وضعف سياسي ومعاناة وما عاناه من ظلم وجور، إلى أن قامت الدول المستقلة ونضج الفكر السياسي لدى المغاربة وشاركوا فيها بنصيب. أتم المسلمون فتح إفريقية والمغرب وأصبح الشمال الإفريقي تابعا لوالي مصر ومارس

الولاه في إفريقية والمغرب سياسة الأخذ بتعاليم الإسلام في معاملتهم لأهل البلاد، أول الأمر، فدونوا الدواوين[٤٧]، وفرضوا الجزية على من لم يسلم من الروم والأفارقة[٤٨]، وقاموا بنشر الدين الإسلامي واللغة العربية بين مجتمع المغرب طوال مراحل الفتح وتحمل البربر بعد إسلامهم عبء فتح بلاد الأندلس، فخالطوا العرب، ثم بدأت اللغة العربية في الانتشار بين سكان الشمال الإفريقي[٤٩]، وقام الفقهاء بتعليم القرآن وأصول الدين واللغة العربية[٥٠]، فضلاً عن أنها لغة القرآن الكريم، ولابد لمن اتخذ الأسلام ديناً أن يعرفها[٥١]، ومع انتهاء الفتوحات أصبح شمال إفريقيا ولاية تابعة للخلافة الأموية ولا تتبع والي مصر، وأخذ الخلفاء يولون عليها من يريدون[٥٢].

استقام حال الشمال الإفريقي على الصعيد السياسي أول الأمر، إبان عصر الولاه، وفي ظل ولاة عدول أمثال محمد بن يزيد وخلفه إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر دينار، وقد قام هؤلاء بحسن السيرة والمعاملة للبربر، وقاما فيهم بالحق والعدل، حتى عرف البربر في ظل هؤلاء الولاه الحلال والحرام[٥٣]، وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وما أن آل أمر بلاد المغرب إلى الوالي يزيد بن أبي مسلم الذي غير سياسة سابقيه؛ إذ قام يزيد بن أبي مسلم بالإساءة لأهل البلاد، وعامل البربر بقسوة، واتخذ منهم حرسا خاصا له، وقام بوشم حرسه ليميزهم عن بقية البربر[٥٤]، ولم يحتمل البربر سوء المعاملة التي تتنافى مع تعاليم الإسلام، فأرسل البربر للخليفة الأموي يخبرونه بسوء صنع الوالي، ولم يحظوا برد من الخلافة، فقتلوا واليهم يزيد، ثم بدأت الاضطرابات السياسية تجتاح بلاد المغرب. آل أمر الخلافة إلى هشام بن عبدالملك، الذي كان على درجة كبيرة من السياسة والحكمة، بيد أنه كان حريصا على جمع المال، لذا صدرت تعليماته لولاته على كل الولايات بإنتهاج سياسة مالية جائرة وحرص ولاته على جمع المال من ولايات الخلافة ومنها المغرب، وجمع بذلك الكثير من الأموال[٥٥]، ثم ولي على بلاد المغرب عبيدالله بن الحجاب سنة ١١٦هـ/٧٣٤م[٥٦].

اشتط ابن الحجاب في معاملة أهل المغرب، ومارس عماله سياسة أرهقت أهل المغرب إقتصاديا وأثارتهم سياسيا، بعد أن اعتبرهم العمال فيئا للمسلمين، وذلك لم

يفعله أحد من الولاة[٥٧] قبله، كما أستولى عمال ابن الحجاب على كثير من قطعان الأغنام التي تمثل رأس مال البربر ومصدر معيشتهم، فكانوا يذبحونها بحثًا عن السخال العسلية، حتى قال البعض أنهم يأتون بالمائة شاه فيذبحونها وقد لا يوجد بينها سوى فراء واحد مما يحتاجون[٥٨]، فضرب أهل المغرب في مصدر قوتهم وقوَّتهم وغالى ابن الحجاب وعماله في معاملة أهل المغرب رغبة منه في إرضاء الخليفة وتعسف مع البربر وأساء إليهم ، ولم يرتض أهل البلاد بتلك المعاملة، ناهيك عن إرهاق كاهلهم بالضرائب مع الشدة في جمعها، مما جعل أهل البلاد بعانون الكثير، مما أدى إلى تدهور الأحوال الأقتصادية آنذاك[٥٩]، فضلاً عن الأوضاع السياسية قبيل قيام الدول المستقلة.

ازدادت الأوضاع السياسية سوء حينما تفرغ العرب للفتوح، بسبب الحروب واضطراب الأمن، مما زاد الأمر سوءا، فضلاً عن عسف الولاة والقادة بهم، مما أدى إلى إضطراب الأوضاع السياسية، بالإضافة إلى العصبية القبلية بين القيسية واليمنية حيث تحيز كل والي وعامل لبني عصبيته[٦٠]، فضلا عن أن القبائل العربية من قيسية ويمنية شكلت طبقة متميزة عن أهل البلاد[٦١]، فمعلوم أن القبائل العربية اشعلت الأوضاع السياسية أضطرابا حينما سكنت مناطق بعينها من بلاد المغرب؛ إذ استقرت بعض القبائل القيسية واليمنية في بلاد الزاب وطرابلس وقابس والقيروان وطبنة وما جاورها[٦٢] أول الأمر، وبدلا من أقرارهم للأمور هناك، أخذ الولاة والعمال يتناحرون فيما بينهم هذا التناحر الذي ساعد عليه الخلفاء بدلاً من أن يخمدوه، وهذا ما دفع البعض إلى القول بأن الصراع بين القيسية واليمنية كان أحد أسباب سوء الأوضاع السياسية في بلاد المغرب، بل وسببا رئيسيا لقيام البربر بثوراتهم ضد بني أمية[٦٣]، تلك الثورات التي عبروا فيها عن سخطهم بعد أن تدهورت أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٦٤]، بل عمل البربر على إثارة الفتن والاضطرابات وأشعلوا حركات التمرد والعصيان ضد الخلافة الأموية.

ساعد بعد الشمال الإفريقي عن مركز الخلافة على استقباله للناقمين على الخلافة الأموية، ففر إليه كل الخارجين على الطاعة، وسعى هؤلاء الناقمون على الخلافة الأموية إلى إثارة البربر ضد بني أمية وتحريضهم على الثورات، فوجد دعاة

الخوارج وأصحاب المذاهب الأخرى في بلاد المغرب أرضا بكرا لنشر أفكارهم ومذاهبهم(٦٥)، في وقت كان أهل المغرب في حاجة لهذه المبادئ والمعتقدات والتي لاقت في نفوسهم كل قبول وإرتياح (٦٦)، لأن أهل المغرب عشقوا الحرية وعاشوا في مجتمع حر اعتاد أن يقرر أموره بنفسه، فضلاً عن النظام القبلي الذي عاشوا فيه، ومن ثم أقبل أهل المغرب على قبول مذهب الخوارج دون غيره من المذاهب الأخرى(٦٧)، وبذلك حق للبعض القول أن مذهب الخوارج استهوى مزاج البربر(٦٨)، لما فيه من شعارات براقة مثل العدل والمساواة بين الحاكم والمحكوم من المسلمين عربا كانوا أم عجما؛ واعتنق كثير من البربر مذاهب الخوارج ودخلوا فيها أفواجا، خاصة وأن أهل المغرب عانوا من جور وعسف ولاة بني أمية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذا حق للبعض القول بأن أهل المغرب اتخذوا من مذهب الخوارج بالمغرب عنوانا للمعارضة ضد أي سيادة تفرض عليهم(٦٩).

نجح البربر في تجميع صفوفهم وقاموا بثورتهم العارمة بعد أن بدأ الفكر السياسي يتبلور لديهم؛ إذ كونوا عصبيتهم وأختاروا قائدهم ومعتقدهم ليتمخض هذا كله عن نجاحهم في هزيمة جيوش الخلافة سنة١٢٢هـ/٧٤٠م وتقليص نفوذها عن الممغربين الأوسط والأقصى والتي قامت فيهما الدول المستقلة مثل إمارة برغواطة في تامسنا، والدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب الأوسط، ودولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الأقصى، كما نجحت أفكار الشيعة في الأنتشار ببلاد المغرب ليسفر ذلك في النهاية عن قيام دولة الأدارسة في فاس بالمغرب الأقصى ولم يبق للخلافة العباسية من سيطرة إلا على إفريقية التي كثر فيها التمرد وثورات الجند، لتعطيها الخلافة في النهاية لإبراهيم بن غلب الذي أسس فيها دولة سنية توارثها أبناؤه من بعده وهي دولة الإغالبة سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م التي دانت بالتبعية الإسمية للخلافة العباسية، وهنا يمكن القول أن أهل المغرب هم الذين أقاموا هذه الدول المستقلة التي إنصهروا فيها وبدأت أفكارهم السياسية في النضوج وبدأوا يتطلعون إلى الصدارة على المستوى السياسي عصر الدول المستقلة، خاصة أن هذه الدول حققت لمجتمع المغرب رواجا تجاريا وثراء

اقتصـاديا دفـع مجتمـع المغـرب للمشـاركة السياسية عصر الدول المستقلة.

تجلـى هـذا واضـحا حينمـا سـعى أهـل تـاهرت فـي دولـة بنـي رسـتم إلـى فـرض نفوذهم علـى أميـر الدولـة بـالمغرب الأوسـط عبـدالرحمن بـن رسـتم مؤسـس الدولـة الرستمية، خاصة بعد إزدهار حركة التجارة وانتعـاش المجتمـع الرسـتمي بعـد مـا وضـع عبدالرحمن بن رستم يده على طرق التجارة إلـى بـلاد السـودان وجميـع بلـدان المشـرق والمغـرب وضـروب الأمتعـة[٧٠]، شـعر عبدالرحمن بن رستم بما يحاك ضده ولاحظ التغيـر السياسـي الـذي طـرأ علـى المجتمـع الرستمي وتدخل البعض في أمور السياسة وأنظمة الدولة، فأقدم قبل وفاته على اختيار سبعة أشخاص منهم ابنه عبدالوهاب ليتم اختيـار الأصـلح مـن بيـنهم ليخلفـه فـي الإمامـة[٧١]، وبالفعـل فمـا أن تـوفي عبـدالرحمن بـن رسـتم حتـى ظهـرت أطمـاع أبناء القبائل في إدارة أمور الدولة؛ وأسفرت القبائل عن أطماعها، فما أن وقفت الأغلبية مـن العامـة لمبايعـة مسـعود الأندلسـي أحـد السبعة المختـارين مـن قبـل مؤسـس الدولـة الرسـتمية، ورفـض توليـة عبـدالوهاب بـن عبـدالرحمن بـن رسـتم[٧٢]، وكـان حـرص العامة على اختيار مسعود الأندلسي، حتى لا يكون لرئيس الدولة عصبية تحميه وتدافع عنه، إذ حاد عن طريق الحق والعدل وهذا يدل على وجود الوعي السياسي لدى بعض العامة، غير أن عبدالوهاب كان يرتكن إلى عصبيته بني يفرن فهم أخواله، وما ناصره بنـي يفـرن؛ إلا رغبـة فـي الإسـتحواذ علـى أمور الدولة، فتم لهم ما أرادوا، ونجحوا في مسعاهم بتولية عبدالوهاب بن عبدالرحمن إماما للدولة[٧٣].

ضاق عبدالوهاب بتدخل زعماء القبائل التـي سـاندته فـي أمـور الدولـة السياسـية، ورغبتهم في الإستحواذ على السلطة، فسعى علـى الفور إلـى ضربهم وإبعادهم عن أمور الدولـة، ونجـح فـي إفشال مخططهم، فأنقلب زعماء بني يفرن عليه، وأندلعت الحرب بين الطرفين، وعندما طال أمدها ولم تسفر عن هزيمة أحد الطرفين، أصلح العلماء بينهما، وأستقلت بعض القبائل بمضاربها بعد فشل تلك المحاولة، سعيا لضرب عبدالوهاب في إقتصاد الدولة، إذ استولت على إقليم الزاب ذو الأهميـة الاقتصـادية والاسـتراتيجية[٧٤]، كمـا خـرج علـى عبـدالوهاب بـن رسـتم مـن اتخـذ مـن تعـاليم المـذهب الأباضـي سـتارا لطموحـه أمثـال يزيـد بـن فنـدين، ودارت

معارك بين الطرفين، غير أنها انتهت بهزيمة بن فندين، وأسفرت عن انشقاق المذهب الأباضي إلى نكارية وهم من أنكروا إمامة عبدالوهاب ووهبية وهم من ظلوا على تبعيته.

ظهر الطموح السياسي لمجتمع تاهرت الرستمي عهد الأمير أفلح بن عبدالوهاب حين تطلع عليه القوم وشيوخ القبائل لفرض هيمنتهم على أمور الدولة عنوه؛ إذ قاموا بتولية البعض أرقى مناصب الدولة، وأسفر ذلك عن تولية محكم الهواري منصب القضاء، بل تدخلوا في تعيين عمال الدولة رغم جهل الكثير منهم بالأمور والأنظمة السياسية[٧٥]، كما بدأ أبناء القبائل ومجتمع تاهرت يتطلعون للنزعة الإستقلالية عن الدولة الرستمية، وتمثل هذا واضحا في استقلال قبائل سدراته ومزاته وغيرها بمضاربها ومناطقها في اقليم الزاب ذو الأهمية الاستراتيجية، وخلعوا طاعة أمير الدولة الرستمية[٧٦]، ناهيك عن استحواذ بعض أبناء القبائل على المناصب العليا في الدولة[٧٧]، وقد قدر البعض تعداد ابناء القبائل التي استقلت في جنوب تاهرت بحوالي ثلاثين ألفا آنذاك[٧٨]، ناهيك عن تمرد القبائل الأخرى واستقلالها بمضاربها في المناطق الساحلية مثل قبيلة إزداجة التي شاركت في تأسيس مدينة وهران بالإتفاق مع تجار أندلسيين[٧٩].

شجع هذا قبائل أخرى لتحذوا حذوها وتشارك تجارا أندلسيين أخرين ويقدموا على تأسيس مدينة تنس[٨٠]، وهذا دليل على نضج سياسي لمجتمع تاهرت، كونهم يعقدون اتفاقات اقتصادية وسياسية مع أهل الأندلس ويعرضون عليهم الانتقال إلى قلعة تنس ومعظمهم من أهل مدينتي البيرة وتدمير بالأندلس واتخاذها سوقاً وسكنا، بل ويعدوهم بالعون والمساعدة، فضلاً عن حسن المعاملة والجوار[٨١]، ووصل النضج السياسي لمجتمع المغرب عصر الدول المستقلة إلى طمع البعض في تولي إمرة الدولة؛ فقد نجح محمد بن مسالة الهواري في الاستحواذ على السلطة لسنوات عدة قدرت بحوالي ستة أعوام[٨٢]، ومن ثم أضحت إمامة الدولة الرستمية هدفاً ومبتغى لكل القوى المتصارعة والمتنازعة على تولي مقاليد الأمور والسلطة في تاهرت[٨٣]، بل أصبح لهؤلاء الطامعين من قبائل أو جماعات قوة تساندهم بعد أن اعتمدوا على رجالهم وزودوهم بما يحتاجون من عدد وعتاد وخيل وسلاح[٨٤]؛ ومن ثم بعد تفشي

نزعة الإستقلال نتيجة نضج مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة كثر عدد الإمارات المستقلة في عصر الدولة الرستمية بالمغرب المتوسط حتى بلغ تعدادها ثلاث عشرة إمارة(٨٥).

تطور مجتمع المغرب وتطلع أبناؤه لتولي مقاليد الأمور بعد حالة الرخاء الاقتصادي التي أحس بها أهله عصر الدول المستقلة، وظهر هذا واضحا في مجتمع المغرب الأقصى الذي تطلع إلى الصدارة على المستوى السياسي، ففي دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ظهرت أطماع أبناء القبائل، الذين يشكلون المجتمع المغربي في تولي مقاليد الأمور، وأستند هؤلاء الطامعين إلى قبائل بعينها مثل مديونة وغياثة وغيرها؛ إذ استولى هؤلاء على جبل مديونة وخرجوا على الأدارسة(٨٦)، وتزعم هؤلاء عبدالرازق الفهري(٨٧)، الذي تحصن في جبل مديونة وجهز عدته وعتاده بعد أن قام بتشييد قلعة منيعة في جبل مديونة جنوب شرق فاس ويبعد هذا الجبل والقلعة عن مدينة فاس مسيرة يوم ونصف(٨٨)، وبعد أن حشد عبدالرازق الفهري حشوده وجمع الأتباع أسرع للإستيلاء على مدينة صفروي لأهميتها التجارية والاستراتيجية بسبب وقوعها جنوب فاس وعلى وادي ملوية(٨٩)، ناهيك عن وقوع هذه المدينة على أحد أهم طرق التجارة بين فاس وسجلماسة، وتعبرها القوافل التجارية جنوبا إلى بلاد المغرب الأقصى وبلاد السودان(٩٠).

نجح عبدالرازق الفهري في الاستيلاء على مدينة صفروي وهدد الأدارسة، ثم توجه بمن معه للإستيلاء على فاس عاصمتهم، ونجح في هزيمة الأمير الإدريسي علي بن عمر بن أدريس الذي لم يستطع صد الهجوم وإنما فر هاربا طالبا مساعدة قبيلة أوربة(٩١)، ومن ثم نجح عبدالرازق الفهري بمن معه من القبائل الطامعة في المشاركة السياسية في الاستيلاء على عدوة الأندلسيين(٩٢)، ولم يتوقف الطموح السياسي عند هذا الحد، بل زحف الثوار للإستيلاء على عدوة القرويين، فاستنجد أهل العدوة بيحيي بن القاسم بن أدريس لصد هذا الزحف وبايعوه بالإمامة(٩٣)، وصمد أهل عدوة القرويين ونجحوا في صد الزحف بل حققوا عليهم نصرا كبيرا ثم اخرجوهم من عدوة الأندلسيين وإستعادوها(٩٤).

استشرت حركة الإستقلال الذاتي في مجتمع المغرب تشجعها التنظيمات المجتمعية آنذاك والتي شارك فيها أبناء القبائل، ولعل حركة عبدالرازق الفهري أكبر دليل على انتشار محاولات الاستقلال الذاتي في مجتمع المغرب والتي أيدها أهل عدوة الأندلسيين وفي نفس الوقت عارضها أهل عدوة القرويين، ويعود السبب في ذلك إلى أن عبدالرازق الفهري زعيم حركة الاستقلال الذاتي جاء من مدينة وشقة في الأندلس[٩٥]، ورد البعض حركة عبدالرازق الفهري وسبب قيامها إلى تشجيع دولة بني مدرار ودعمها له ضد دولة الأدارسة كنوع من الصراع الغير مباشر بين الدول المستقلة وذلك حرصا على أمتلاك طرق التجارة بالمغربين الأوسط والأقصى، والتي تصل إلى بلاد السودان[٩٦].

تطور مجتمع المغرب على الصعيد السياسي عصر الدول المستقلة كنتيجة لحالة الثراء الاقتصادي التي وفرتها حركة التجارة وشجع ذلك أبناء المجتمع المغربي على الحراك السياسي ومحاولة التدخل في شئون الحكم، وظهر هذا جليا في دولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الأقصى، حينما حاول أبناء القبائل خلع طاعة الأمير المدراري اليسع بن أبي القاسم سمكو الذي تولى السلطة عام ١٧٤هـ/٧٩٠م[٩٧]، إذ حاول هؤلاء خلع طاعة الأمير المدراري والإستقلال بمنطقة درعة[٩٨]، ذات الأهمية التجارية مع بلاد السودان، فضلاً عن غناها بمعدن الفضة، لذا قام الأمير المدراري بإعادة تخطيط مدينة سجلماسة وأمر القبائل بتركها حتى ينتهي من إعادة تخطيطها، وقام يتحصينها؛ إذ أمر ببناء سور حولها[٩٩]، ثم حدد لهذه القبائل مناطق بعينها تقيم فيها من أجل إحكام السيطرة على أهلها[١٠٠]، ثم قام الأمير المدراري بمحاربة من خرج على طاعته حتى قهرهم واستكانوا للغلب[١٠١].

سيطر اليسع المدراري على أمور الدولة وقمع الحركات المناوئة له وظل الحال كذلك حتى نهاية حكمه وتولية ابنه مدرار زمام الأمور وحكم الإمارة سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م وتلقبه بلقب المنتصر[١٠٢]، ثم بدأ أهل سجلماسة في التحرك من جديد وإظهار قوتهم لكن المنتصر كان شرسا؛ إذ استطاع قمع كل حركاتهم طوال حكمه، لكن هؤلاء الثوار اغتنموا فرصة ولاية العهد، أخريات عهد المنتصر، وعادوا يمارسون دورهم ويفرضون رأيهم في اختيار أمير

الدولـة المدراريـة؛ إذ كـان للأميـر المنتصـر ولدين من زوجتين، وكل منهما يعرف بأسم ميمـون، الأول كـان ميمـون بـن بقيـة[١٠٣]، والثـــاني ميمـــون بـــن الرســـتمية، وقـــام الأميرالمنتصـر بتوليـة ميمـون بـن الرسـتمية ولاية العهد وأيده في ذلك الكثير من أعوانه وبطانتـه، بينمـا اعتـرض الكثيـر مـن أهـل سجلماسة على ذلك وأيدوا تولية ميمون بن بقيـة، ومـن ثـم انـدلعت نيـران الصـراع فـي الإمارة المدرارية، وهذا يدل على أن مجتمع المغرب قد شهد تحولاً كبيرا على الصعيد السياسـي، تلـك النيـران التـي أذكـت شـرارتها القبائـل الضـاربة فـي سجلماسـة؛ إذ ذكـر الـبعض أن هـذه القبائـل اسـتغلت نفوذهـا وقاموا بإبعاد ابن الرستمية وولوا ميمون بن بقيـة[١٠٤]، واسـتمر الصـراع بـين أهـل سجلماسة وأتباع الأمير المدراري قرابة ثلاثة أعوام، ثم شمر المنتصر عن ساعده وحاول حسم الصراع، فخلع نفسه من الإمارة وتنازل لإبـن الرسـتمية، وأبعـد ابـن بقيـة عـن سجلماسة[١٠٥].

غضب أهل سجلماسة من فعلة الأمير المدراري فأعلنوها ثورة عارمة ونجحوا في خلع ميمون بن الرستمية من الإمارة وولوا ميمون بن بقية غير أن الأخير رفض أن يتـولى الإمـارة فـي وجـود والـده؛ إذ أعـاد السلطة لوالده وقام بنفي أخيه ميمون بن الرستمية إلى منطقة درعة[١٠٦]. سئم الأمير المدراري من تدخل أهل سجلماسة وقبائلها في شئون الحكم وتولى الإمارة وولاية العهد، فحشـد أهـل مدينـة درعـة والمؤيـدين لابنـه ميمون بن الرستمية وأعادوه من منفاه في درعـــة، وظـــل الصـــراع بـــين المؤيـــدين والمعارضـين إلـى أن قـام أهـل سجلماسـة بمحاصرة الأمير المدراري المنتصر وأجبروه علـى أن يخلـع نفسـه مـن الإمـارة، وقـاموا بتولية ميمون بن بقية سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م، وتخلصوا من الأمير المنتصر بإبعاده عن سجلماسـة وإمـارة دولـة بنـي مـدرار[١٠٧]، وأنفـرد ميمـون بـن بقيـة بمسـاندة أهـل سجلماسـة وحكـم الإمـارة المدراريـة إلـى أن تـوفى سـنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م دون معارضـة تذكر، كل ذلك يؤكد نضج الفكر السياسي في المجتمع المغربي عصر الدول المستقلة، والـذي ظهـر واضـحا فـي تطلعهـم إلـى الصـدارة علـى المسـتوى السياسـي وتـدخلهم فـي أمـور الـدول مـن اختيـار الأمير وتـولي المناصب العليا في الدولة وهو إنعكاس في نفس الوقت لحالة الثراء الاقتصادي التي

تمتع بها المجتمع المغربي عصر الدول المستقلة.

الإزدهار الإجتماعي والثقافي لمجتمع المغرب عصر الدول المستقلة:

لم يقدم العرب للبربر بعد أن فتحوا بلادهم فكرا سياسيا أو عمرانيا أو ثقافيا، أو اجتماعيا أو حضاريا، لأن العرب كانوا أهل بداوة والقبيلة أساس حياتهم السياسية والاجتماعية مما حدا بابن خلدون إلى القول بأن الخلافة الأموية كانت بدوية الطابع، فلم يتخذ خلفاؤها ألقابا كما فعل العباسيون بعدهم، ومن ثم لم يشهد عصر الولاة تطورا على الصعيد الاجتماعي أو الحضاري من أهل البلاد بينما شهدت الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب عصر الدول المستقلة تطورا ملحوظًا وإزدهارا واضحا، وذلك للتشابه بين العرب الفاتحين والبربر على الصعيد السياسي والاجتماعي من نظام قبلي وبداوة، وقد ساعد ذلك على استقرار بعض العرب بين قبائل البربر ومخالطتهم ومصاهرتهم، فضلاً عن أن العرب ضموا من أسلم من البربر إلى جيوشهم وأشركوهم في حملاتهم على الشمال الإفريقي[١٠٨]، ومن ثم يمكن القول أن الإزدهار الثقافي والاجتماعي الذي شهده مجتمع المغرب لم يحدث إلا بعد تحول مجتمع المغرب إلى الإسلام ثم إزدهار حركة التجارة عصر الدول المستقلة، خاصة بعد أن وفدت عناصر جديدة من مختلف البلدان حاملين معهم تجارتهم لمقايضتها ببضائع المغرب، وحاملين معهم ثقافات شعوبهم وما بلغوه من تطور في الحياة الاجتماعية، مما جعل مجتمع المغرب ينهل من هذه الثقافات حتى ظهر من بين هؤلاء علماء في المذاهب الإسلامية وشعراء وغيرهم، كما كان الازدهار الاقتصادي آنذاك سببا في ازدهار العمران وتأسيس مدن جديدة وتزويدها بالحمامات والفنادق والقصور[١٠٩]، ولعل أبرز مظاهر الازدهار الثقافي عصر الدول المستقلة هو انتشار الإسلام مع التجار وحركة التجارة في مناطق الصحراء الكبرى وبلاد السودان وما ترتب على ذلك من انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

عرفت بلاد المغرب الكثير من العناصر البشرية التي أثرت في ثقافته وقد جاءت تلك العناصر في صورة تجار وساهموا في إثراء الأوضاع الاجتماعية والثقافية عصر الدول المستقلة بل شاركوا في أحداثه السياسية ومن هؤلاء اليهود الذين كانوا أكثر العناصر انتشارا في بلاد المغرب

بعد ظهور الإسلام[١١٠]؛ لأن الأسلام أمنهم على عقيدتهم على عكس ما عانوه في البلدان الأخرى، علاوة على أن اليهود طُبعوا على البحث عن الكسب في التجارة، فاختار اليهود المناطق ذات الأهمية التجارية لإقامتهم والتي تقع على طرق التجارة، فأقام اليهود في عواصم الدول المستقلة أو المدن التي أمست مراكز تجارية فضلاً عن الموانئ، وعاش اليهود في صورة جماعات تنتشر في مناطق متفرقة وترتبط في نفس الوقت ببعضها البعض في العالم كله وتمحور تمركزها على أطراف الطرق التجارية العالمية[١١١]، حتى أصبحوا أصحاب ثروة كبيرة، وفي بلاد المغرب أستقر اليهود في المغرب الأقصى ووجد فيه قبائل بأكملها مثل مضارب قبيلة فندولاه بمدينة صفروي[١١٢]، كما وجدت بطون مديونة وبهلولة بالمغرب الأقصى[١١٣]، واستقر اليهود في منطقة قسطيلية وكونوا ثروة هائلة حتى أصبحوا يشكلون طبقة اجتماعية مميزة[١١٤]، كما ازداد عدد اليهود ببلاد المغرب عصر الدول المستقلة في مدينة نكور، حتى ذكر المقدسي أن هذه المدينة كانت مملوءة باليهود منذ تأسيسها[١١٥]، بل أُطلق على أحد أبوابها اسم باب اليهود[١١٦].

استقر اليهود أيضا في مدينة تاهرت وتزايدت اعدادهم بها على أثر ازدهار حركة التجارة وما ترتب عليها من ازدهار ثقافي، فأقاموا علاقات تجارية وثقافية بين تاهرت وبلاد السودان، بل شاركوا بقوة في حركة التجارة آنذاك[١١٧]، كما أقاموا علاقات قوية مع أخوانهم في منطقة وارجلان ونفوسة، بل حظيت الجاليات اليهودية الموجودة في تاهرت بثقة كبيرة من قبل رجال الدين اليهود في المشرق بل كانت هناك مراسلات بينهم وبين يهود العراق والقدس[١١٨]، وما ترتب على ذلك من علاقات ثقافية واجتماعية أثرت في مجتمع المغرب آنذاك، نجح اليهود في نقل الكثير من الثقافات إلى مجتمع المغرب حينما أصبحوا جزءا رئيسيا من هذا المجتمع لإنتشارهم في جل مدنه حتى ذكر البعض أنه يوجد منهم بمدينة تلمسان أكثر من خمسمائة منزل[١١٩]، كما شارك اليهود مجتمع المغرب في أوضاعه الثقافية والسياسية، وذلك حينما استقروا بكثرة في مدينة وارجلان وتحالفوا مع أهلها في صد حصار

الدولة الفاطمية، بل نجحوا في رفع الحصار عن المدينة[١٢٠].

زاد عدد اليهود في مدينة فاس منذ تأسيسها[١٢١]، وخاصة يهود الأندلس؛ إذا استقروا بها زمن حكم إدريس الثاني وأقاموا في عدوة القرويين وتكاثرت أعدادهم وكونوا طبقة اجتماعية بعاداتها وتقاليدها خالطوا بها مجتمع المغرب، بل حققوا ثراء فاحشا من وراء العمل بالتجارة، وإمتلكوا تجارة رائجة أعلت من شأنهم بعد أن أصبحوا من أكثر أهل البلاد ثراء[١٢٢]، واستقر اليهود في معظم بلاد المغرب وشاركوا أهله في كل أنشطتهم مما ساعد على التبادل الثقافي والاجتماعي وإحداث تغير ملحوظ بين الطرفين، وإستقر معظمهم في سلجماسة بسبب أهميتها التجارية ولأنها ضمت الكثير من الغرباء[١٢٣]؛ ولكونها باتت المدخل الرئيسي للتجارة مع بلاد السودان وعلى رأسها الذهب وأقاموا علاقات تجارية مع أخوانهم في معظم مدن بلاد المغرب وخاصة القيروان[١٢٤].

جذب ثراء بلاد المغرب عصر الدول المستقلة الكثير من التجار من مختلف البلدان الذين جاءوا بثقافاتهم التي تفاعلت مع ثقافة المجتمع المغربي بين تأثير وتأثر مما ساعد على ازدهار المجتمع المغربي، فقد قدم لبلاد المغرب الكثير من أهل الأندلس بهدف الثراء الإقتصادي، واستقر البعض في المدن الساحلية والبعض الأخر في المدن المغربية التجارية ناهيك عن أخرين تركوا بصمة واضحة في بلاد المغرب وهؤلاء قاموا بتأسيس مدن في بلاد المغرب مثل مدينة تنس واستقروا فيها[١٢٥]، وأثروا بثقافاتهم في مجتمع المغرب، كما جاء آخرون من أهل الأندلس وبالاتفاق مع قبائل إزباجة نجحوا في تأسيس مدينة وهران واستقروا فيها[١٢٦]، واستقر أهل الأندلس في معظم المدن الساحلية المغربية مثل مليلة ونكور غيرها.

ومن ثم يمكن القول بأن هناك جماعات أندلسية بأكملها أقامت في بلاد المغرب وعلى طول ساحل البحر المتوسط وهؤلاء التجار أصحاب حضارة وصبغت مدن بلاد المغرب ومجتمعها بصبغتها الأندلسية، كما أقام أندلسيون آخرون بين مجتمع المغرب وأمتهنوا صناعات وحرف أثرت في مجتمع المغرب مثل البناء وغيرها، فأهتموا ببناء القصور وامتهنوا الحدادة وغيرها[١٢٧]، ويتضح تأثير أهل الأندلس في مجتمع المغرب، إذا ما عرفنا أن المكاييل والأوزان

المستخدمة في مدن المغرب هي المكاييل والأوزان الأندلسية[١٢٨]، كما إتضح الأثر الأندلسي في بناء الخانات لإقامة التجار وتزويدها بالفرش والحمامات.

عرفت بلاد المغرب العنصر الفارسي، ولعب الفرس بتأثيراتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية دورا بارزا في مجتمع المغرب وخاصة عصر الدول المستقلة، فمعلوم دور الفرس في المغرب إبان مشاركتهم في حملات الفتح، وما نقلوه من خبراتهم لمجتمع المغرب في مجال إنشاء المحارس والقلاع والحصون فضلاً عن خبراتهم في بناء المدن وخاصة العسكرية منها مثل القيروان وغيرها وأن بعض هذه المدن والقرى أخذت أسماء فارسية حتى أن قرية ملشون الواقعة قرب تهوده عرفت "بقرية العجم" كما ذكر البعض[١٢٩]، كما عمل الكثير من الفرس في الوظائف المالية والإدارية، بسبب خبرتهم وكفائتهم في ذلك[١٣٠]، ووفد منهم كثيرون عصر الدول المستقلة خاصة بعد قيام الدولة الرستمية في صورة علماء وتجار شاركوا في حركة التجارة بين المشرق والمغرب، حتى أن بلاد المغرب شهدت رواجا تجاريا أوجدته العناصر الفارسية في مجتمع المغرب[١٣١]، ناهيك عن أن الفرس شكلوا قوة اجتماعية فرضت هيبتها على ولاة الأمر في بلاد المغرب[١٣٢]، بل استقر منهم الكثير في مدينة فاس، حتى أطلق على أحد أبوابها اسم "باب الفرس"، وانزل إدريس الثاني الكثير من التجار الفرس ببعض نواحي مدينة فاس[١٣٣]، ومن الطبيعي أن يظهر تأثير الفرس في مجتمع المغرب على الصعيد الاجتماعي والثقافي عصر الدول المستقلة، لأن التجارة لا تنقل البضائع والسلع فقط، وإنما تعد أهم الوسائل في نقل الأفكار والثقافات.

وجدت أقليات ضئيلة عاشت في المجتمع المغربي كالأفارقة والسودان والروم تأثر بهم المجتمع المغربي– أول الأمر على الصعيد الثقافي والاجتماعي ولكن لم يكن لتلك الأقليات وزن على المستوى السياسي، بل احتلت سفح الهرم الاجتماعي، فهم ليسوا كمجتمع المغرب القبلي الذي عرف ابنائه بأنهم فرسان محاربون خشنوا الطباع[١٣٤]، وهذا راجع لطبيعة بلاد المغرب الصحراوية الجبلية التي اكسبت ابنائها القوة والشجاعة[١٣٥]، وإن أسهم أنتشار الإسلام بين قبائل المغرب في تغير بعض طبائعهم، فهذب نفوسهم وجعلهم يحملون لوائه في

بلاد المغرب، ونجحوا في نشره في بلاد السودان ودافعوا عن دينهم الذي أشعل حماستهم[١٣٦]، وأدى نشاط حركة التجارة بين المشرق والمغرب إلى إثراء الحياة الثقافية في مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة؛ فقد نقلت كتب ومؤلفات العلماء والفقهاء المشارقة إلى بلاد المغرب مع القوافل التجارية وزودت بها مكتبات بلاد المغرب، مثلما زودت مكتبة تاهرت أبان حكم الدولة الرستمية[١٣٧]، وكذلك مكتبة سجلماسة حتى أمست تاهرت وسجلماسة أهم المراكز الثقافية الكبرى وكثرت فيهما اللغات واللهجات[١٣٨].

نبغ كثيرون من أهل المغرب في مجال العلم والثقافة وكان لهم دور واضح عصر الدول المستقلة ومن هؤلاء يزيد ين فندين أحد علماء المذهب الأباضي الذي أتقن علم الفقه وعلم الكلام ووضح ذلك من مساجلاته ومناقشاته مع فقهاء المذهب الأباضي بالمشرق والمغرب[١٣٩]، كما ارتحل زيد بن سنان شيخ معتزلة قبيلة زناته إلى البصرة سنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م طلبا للعلم على يد أئمة المعتزلة بالمشرق[١٤٠]، وقد ساعد الإزدهار الأقتصادي في المغرب على إزدهار مجتمع المغرب على الصعيد الاجتماعي والثقافي عصر الدول المستقلة، حتى أن شيوخ المعتزلة كانوا من التجار[١٤١]، ومن مشاهير العلم والثقافة في مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة بكر بن حماد الزناتي الذي ولد في تاهرت سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[١٤٢]، وانتقل إلى القيروان طلبا للعلم ودرس على يد شيوخها وفقهائها أمثال سحنون بن سعيد ثم ارتحل إلى البصرة وتتلمذ على يد علمائها مثل أبي حاتم السجستاني حتى أصبح عالما بالحديث ورجاله، ناهيك عن كونه شاعرا[١٤٣]، وإعتبر من شعراء الطبقة الأولى في وقته[١٤٤]، وانتقل بكر بن حماد بعد ذلك إلى بغداد حيث نافس كبار شعرائها أمثال أبي تمام ودعبل الخزاعي وعلي بن الجهم وغيرهم وقام بمدح الخليفة العباسي المعتصم فأعطاه الكثير من الأموال، حتى حقد عليه شاعر المشرق دعبل الخزاعي، فوشي به عند المعتصم[١٤٥]، فاضطر بكر بن حماد للرحيل عن بغداد وعاد إلى المغرب واستقر بالقيروان، زمن الأغالبة ووثق علاقاته برجال البلاط الأغلبي وقام بمدح الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد[١٤٦].

عرف بكر بن حماد الزناتي بنبوغه في الدين والأدب بفروعه المختلفة، وفي مسجد القيروان كانت له حلقة قصدها طلاب العلم، ووفد عليه كثير من أهل الأندلس طلبا للعلم والأدب(١٤٧)، وتتلمذ على يديه الكثير منهم وظهر نبوغ طلابه من أهل الأندلس في مختلف المجالات(١٤٨)، ويعتبر بكر بن حماد من نقلة العلم والأدب إلى بلاد المغرب(١٤٩)، من أهم مظاهر ازدهار مجتمع المغرب في هذا المجال عصر الدول المستقلة، لأنه أتقن اللغة والأدب والشعر الجاهلي والإسلامي، وتعلقت به قلوب الجميع، ونقلوا عنه رواية الحديث ودواوين شعر من عاصروه الذين قابلهم في رحلته للمشرق، وحقد عليه الكثير، فوشى به البعض عند الأمير الأغلبي، فخاف بكر بن حماد على نفسه، وارتحل على الفور قاصدا مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية آنذاك، فاعترضه قطاع الطرق، وسلبوا ما معه وأصابوه ببعض الطعنات التي أدت إلى وفاته في مسقط رأسه شمال مدينة تاهرت سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م(١٥٠)، ولم ينقطع وفود العلماء وطلاب العلم الأندلسيين على بلاد المغرب، مما ساعد على ازدهار مجتمع المغرب على الصعيد الثقافي والاجتماعي، ناهيك عن تعزيز التبادل الثقافي بين البلدين، كما أدى ذلك إلى صبغ كثير من الظواهر المغربية بالصبغة الأندلسية، وخاصة في مدينة تاهرت التي قال عنها البعض بأنها أصبحت في عصر الدول المستقلة ذات طابع أندلسي(١٥١).

ومجمل القول: أن مجتمع المغرب شهد تطورا وازدهارا ملحوظًا عصر الدول المستقلة على الصعيد الاقتصادي بسبب ثراء مجتمع المغرب لأن الدول المستقلة مهدت طرق التجارة الداخلية، وطرق التجارة عبر الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان، وفرضت الأمن والاستقرار الذي أمن هذه الطرق، فجاءها التجار من مختلف بلدان العالم الإسلامي حاملين عاداتهم الاجتماعية من مأكل ومسكن وتعامل علاوة على ثقافاتهم المختلفة وعلى الصعيد السياسي تطلع أبناء المجتمع المغربي إلى البحث عن دور ريادي وتطلعهم إلى الصدارة، والمشاركة في إدارة الدول، وإستحداث نظم سياسية جديدة، وتولي المناصب العليا مما أدى إلى تبلور ونضوج الفكر السياسي في مجتمع المغرب عصر الدول المستقلة، كما نبغ منهم الكثير في مجال العلوم والأدب والشعر واللغة والدين، فأصبح منهم الشعراء

والأدباء على صعيد العلم والثقافة وتأثروا وأثروا فيمن قدم عليهم من حملة العلم، كما أقاموا مدنا جديدة مزودة بوسائل الراحة من أجل التجار القادمين إليهم ولم ينقطع ورودهم طوال عصر الدول المستقلة.

الهوامش:

١. جودت عبدالكريم، العلاقات الخارجية للدورلة الرستمية، (الجزائر ١٩٨٤)، ص٢٢٩.
٢. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت١٩٧١)، جـ٧، ص٥٦- ٥٧.
٣. الحسن السائح، الحضارة المغربية عبر التاريخ، الطبعة الأولى، (الدار البيضاء ١٩٧٥م)، جـ١، ص٧٤.
٤. نفس المرجع، جـ١، ص٨٤.
٥. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، (القاهرة ١٩٥٧م)، ص٢١- ٢٢؛
٦. Julien, A: History of North Africa, (London 1970), P.341.
٧. الحسن السائح، الحضارة المغربية، جـ١، ص٧٤.
٨. الرقيق القيروان، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، (تونس ١٩٦٨م)، ص٦١؛
٩. وانظر: Sell.E: Muslim Conquests in North Africa, (Madrid, 1914). P. 22.
١٠. المقدمة، (بيروت ١٩٥٦) ص١٢٥.
١١. الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، (نابولي ١٩٧٢)، جـ٣، ص ٣١١.
١٢. نفس المصدر، جـ٣، ص٣١٢.
١٣. الوزان، وصف افريقيا، ترجمة عبدالرحمن حميدة، مراجعة علي عبدالواحد وافي، (الرياض ١٩٧٩م)، ص٤٦٦- ٤٦٨.
١٤. الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ٣، ص ٢٦٣.
١٥. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد (الإسكندرية ١٩٥٨)، ص١٥٠- ١٥١.
١٦. الرقيق ، تاريخ إفريقية، ص١١٨- ١١٩.
١٧. ابن حوقل، صورة الأرض، (بيروت ١٩٦٤م)، ص٧٧- ٧٨.
١٨. الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ٣، ص ٢٩١.
١٩. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٠- ٧١.
٢٠. الوزان، وصف افريقيا، ص٤٨٩.
٢١. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (الجزائر ١٨٥٧م)، ص٤١- ٤٢.
٢٢. ابن خلدون، المقدمة، ص٢٣٨.
٢٣. مجهول، الإستبصار، ص١٥٤.
٢٤. الوزان، وصف افريقيا، ص٤٧٠- ٤٧١.
٢٥. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٠.
٢٦. مجهول، الإستبصار، ص١١٦.
٢٧. الحسن السائح، الحضارة المغربية، جـ١، ص٦٨- ٦٩.
٢٨. معلوم قيام دولة بني رستم في تاهرت، انظر: ابن الخطيب، الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، نشر أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتابي تحت عنوان المغرب العربي في العصر الوسيط، جـ٣، ص٧؛ عودة حسان أبو شيخة، بنو المهلب في المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، (١٩٩١م)، ص١٦٢.
٢٩. قامت دولة بني مدرار في سجلماسة انظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، (ليدن ١٩٤٨م)، جـ١، ص١٥٦؛
30. Fournel, H: Le Berbers, Etude Sur Conguete de l, Afrique Par Les Arabes. (Paris, 1875) Vol, 2. PP. 22- 24.
٣١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الطبعة الرابعة، (بيروت١٩٨٣م)، جـ٥، ص٢٦.
٣٢. البكري، المغرب، ص١٥٧؛ عبدالرحمن زكي، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقية الغربية، (القاهرة

١٩٦١م) ص٩٢- ٩٣.

٣٣. يحيـــي هويـــدي، تـــاريخ فلســـفة الإســـلام فـــي القارةالإفريقية، جـ١، ص٤٥.

٣٤. حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص١٣- ١٤.

٣٥. القلقشـندي، صـبح الأعشـى فـي صـناعة الإنشـا، (القاهرة١٩١٤م) جـ٥، ص١٦٤.

٣٦. اليعقـــوبي، كتـــاب البلـــدان، (ليـــدن ١٨٩٢م)، ص٣٥٨.

٣٧. الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ٣، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

٣٨. الوزان، وصف افريقيا، ص٢٣٧.

٣٩. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٦ وما بعدها.

٤٠. البكـــري، المغـــرب، ص١٤٧؛ مـــوريس لومبـــار، الإسـلام فـي عظمتـه الأولـى، (بيـروت ١٩٧٧م)، ص١٥١- ١٥٢.

٤١. الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ٣، ص ٢٢٧.

٤٢. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٧.

٤٣. ابـن بطوطـة، تحفـة النظـار فـي غرائـب الأمصـار وعجائـب الأسـفار المعـروف برحلـة ابـن بطوطـة، (بيروت ١٩٦٠م)، ص٦٨٠.

٤٤. المراكشـي، المعجـب فـي تلخـيص أخبـار المغـرب، تحقيـق محمد سـعيد العريـان، ومحمد العربـي، (القـاهرة ١٩٤٩م)، ص٤٤٨.

٤٥. ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٥٦.

٤٦. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص١٦٤.

٤٧. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٦٥.

٤٨. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمية، نشر بعنوان:

49. Chronique d,Ibn Saghir Sur Les Imams Rostemides Les Cahiers de Tunisie, 23(1975)P. 337.

٥٠. المصدر السابق، ص٣٢٥- ٣٢٦.

٥١. الـدباغ، معـالم الإيمـان فـي معرفـة أهـل القيـروان، تحقيـق إبـراهيم شـبوح، الطبعـة الثانيـة، (القـاهرة ١٣٨٨هـ) جـ١، ص٦٧.

٥٢. الأفارقة: عرفهم البعض بأنهم عجم إفريقية من غير العرب وأنهم خدم الروم؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغـرب، تحقيـق عبـدالمنعم عـامر، (القـاهرة ١٩٦١م)، ص٢٧١؛ عبـدالمنعم ماجـد، التـاريخ السياسـي للدولـة العربيـة، (القـاهرة ١٩٧٢م)، جـ٢، ص٥٣.

٥٣. الحبيـب ثـامر، هـذه تـونس، تقـديم الرشـيد إدريـس، تحقيق حماد الساحلي، (بيروت ١٩٨٨م)، ص٤٢؛ شكري فيصـل، المجتمعـات الإسـلامية فـي القـرن الأول الهجري، (القاهرة ١٩٥٢)، ص١٨٨- ١٩٠.

٥٤. محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، (القاهرة ١٩٨٦م) ص٣٨.

٥٥. محمد كرد علـي، الإسـلام والحضـارة العربيـة، (القـاهرة ١٩٦٨م) جـ١، ص١٨٠- ١٨٢.

٥٦. ابن أبـي دينـار، المؤنس في أخبـار إفريقيـة وتونس، (تونس ١٩٦٧م)، ص٣٥.

٥٧. ابن عذاري، البيان المغرب، جـ١، ص٤٨- ٤٩؛

58. Marcais, G: Berberie Musulman et Lorient au Moyen age. (Paris, 1946) PP. 41- 42.

٥٩. الرقيق ، تاريخ إفريقية، ص٩٩.

٦٠. ابـن العبـري، تـاريخ مختصـر الدولـة، (بيـروت ١٩٥٨)، ص١١٧- ١١٨.

٦١. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى (١٩٨٢م) ص٣٩.

٦٢. السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا، تحقيـق جعفـر الناصـري ومحمد الناصـري، (الـدار البيضاء ١٩٥٤م)، جـ١، ص٩٥.

٦٣. لسلاوي، الاستقصا، جـ١، ص٩٥.

٦٤. لـ ويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبـيض المتوسـط، (القـاهرة ١٩٦٠م) ص١٤٤- ١٤٥؛ وعن الضـرائب ومظـاهر التشدد فـي جمعهـا انظر: Marcais, Op.cit.P.43

٦٥. دوزي، تـاريخ مسـلمي أسـبانيا، (القـاهرة ١٩٦٣م) جـ١، ص١٣٠ وما بعدها.

٦٦. محمـود إسـماعيل، قضـايا فـي التـاريخ الإسـلامي، (القاهرة ١٩٧٤م) ص١١٢.

٦٧. اليعقوبي، البلدان، ص٣٤٣- ٣٥٠؛ مصطفى أبـو

ضيف أحمد، أثر العرب في تاريخ المغرب، (القاهرة ١٩٨٣م)، ص٤٦- ٤٨.

٦٨. عن التفاصيل انظر: Marcais, Op.cit.PP.141-142

٦٩. لويس، القوى البحرية، ص١٤٤.

٧٠. البغدادي، الفرق بين الفرق، تعليق محمد بدر، (القاهرة ١٩١٠م) ص٧٠- ٧٢.

٧١. السلاوي، الاستقصا، جـ١، ص٩٥؛ الحبيب ثامر، هذه تونس، ص٤٢.

٧٢. الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق إبراهيم أكاه، حسين اتاي (أنقرة ١٩٦٢م)، ص٢٣٧- ٢٣٩.

٧٣. عن التفاصيل انظر: Julien, Op.cit.PP.20- 22

٧٤. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، (الإسكندرية ١٩٨٧م)، ص٦٣- ٦٤.

٧٥. ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص٣٢٥.

٧٦. أبو زكريا، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، مخطوط بدار الكتب رقم ٩٠٣٠ح، ورقة ١٤.

٧٧. الشماخي، السيرة، (بدون تاريخ)، ص١٤٥- ١٤٧.

٧٨. الدرجيني، طبقات الأباضية، الجزء الأول، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ١٢٥٦١ح، ورقة ٢١.

٧٩. محمود إسماعيل، الخوارج، ص١٥٩.

٨٠. ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص٣٣٣- ٣٣٥.

٨١. محمود إسماعيل، الخوارج، ص١٥٩.

٨٢. ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص٣٥٠- ٣٥٢.

٨٣. ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٢١.

٨٤. البكري، المغرب، ص٧٠.

٨٥. ياقوت، معجم البلدان، جـ٢، ص٤٨.

٨٦. البكري، المغرب، ص٦١؛

87. Bermijo: La Cora de Tudmir, (Al Andalus 1972) Vol. 37,P.154

٨٨. ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص٣٤٨.

٨٩. محمود إسماعيل، الخوارج، ص٢٦٩.

٩٠. ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص٣٤٥- ٣٤٧.

٩١. هاشم القاسمي العلوي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، وزارة الأوقاف المغربية (١٩٩٥م) ص٩٥- ٩٧.

٩٢. ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص١٥.

٩٣. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، جـ٣، ص٢٠٨.

٩٤. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط ١٩٧٣م)، ص٧٨- ٧٩.

٩٥. محمود إسماعيل، الخوارج، ص١٣٨.

٩٦. هاشم القاسمي العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ص٤١٩- ٤٢٠.

٩٧. ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص١٥.

٩٨. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٧٩.

٩٩. البكري، المغرب، ص١٢٥.

١٠٠. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، جـ٣، ص٢٠٩.

١٠١. ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص١٥.

١٠٢. هاشم القاسمي العلوي، مجتمع المغرب الأقصى، ص٤١٨- ٤١٩.

١٠٣. البكري، المغرب، ص١٤٩.

١٠٤. محمود إسماعيل، الخوارج، ص١٢٤.

١٠٥. ابن الخطيب، أعمال الاعلام، جـ٣، ص١٤٣.

١٠٦. البكري، المغرب، ص١٤٨.

١٠٧. السلاوي، الاستقصا، جـ١، ص١١٣.

١٠٨. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص١٦٥.

١٠٩. البكري، المغرب، ص١٥٠- ١٥١.

١١٠. جودت عبدالكريم، العلاقات الخارجية، ص٢٢٠.

١١١. البكري، المغرب، ص١٥٠.

١١٢. بن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٣١.

١١٣. لبكري، المغرب، ص١٥٠.

١١٤. لدباغ، معالم الإيمان، جـ١، ص٦١- ٦٢.

١١٥. لبكري، المغرب، ص٧٩؛

116. Mercier, E: Histoire de l, Afrique Septentrionale Depuis Le Temps, Les Plus Recules Jusque la, Conquete Francais, voL I.(Paris 1888), P.357.

١١٧. عبدالرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، (القاهرة ٢٠٠١م) ص٧ وما بعدها.

١١٨. لومبار، الإسلام، ص٣٠٥.

١١٩. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٤٠- ١٤١.
١٢٠. ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٠٧.
١٢١. مجهول، الإستبصار، ص١٧٥.
١٢٢. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٠٠- ٢٠١.
١٢٣. ابن عذاري، البيان المغرب، جـ١، ص ١٧٦.
124. Goitein, s. D: Mediterranan Society. Jewish Communities Of Arab World as Partroyed in the documents of the Cairo Geniza, V.I, (California 1967), P.279.
١٢٥. عبدالرحمن بشير، اليهود في المغرب، ص٧٥- ٧٦.
١٢٦. الوزان، وصف افريقيا، ص٣٩٠.
١٢٧. أبو زكريا، السيرة، ص١١٣.
١٢٨. بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، (القاهرة بدون تاريخ) ص٤٤- ٤٥.
١٢٩. مجهول، الإستبصار، ص٢٠٢.
١٣٠. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣١.
١٣١. عن التفاصيل أنظر: Goitiein, Op.cit. 2,P.402-404
١٣٢. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٨.
١٣٣. مجهول، الإستبصار، ص١٣٣؛ البكري، المغرب، ص٧٠.
١٣٤. السلاوي، الاستقصا، جـ١، ص١١٢.
١٣٥. البكري، المغرب، ص٨٩.
١٣٦. محمود إسماعيل، مغربيات، (فاس ١٩٧٧م) ص٨٩- ٩١.
١٣٧. الرقيق ، تاريخ إفريقية، ص١١٦- ١١٧.
١٣٨. محمود إسماعيل، مغربيات، ص٩٣- ٩٤.
١٣٩. ابن الصغير، سيرة الأئمة، ص٣٣٦.
١٤٠. جودت عبدالكريم، العلاقات الخارجية، ص ١٩٧- ١٩٨، ٢٠٧.
١٤١. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٥.
١٤٢. سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، (القاهرة ١٩٦٥م) جـ١، ص٣٢- ٣٣، ٤٣.
١٤٣. حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٧٤- ٧٥.
١٤٤. الشماخي، السير، ص١٦٢.
١٤٥. نفسه، ص٢٦٣.
١٤٦. الباروني، الأزهار الرياضية في أخبار الأباضية، (القاهرة ١٣٢٤هـ) جـ٢، ص٩٨- ١٠٨.
١٤٧. البكري، المغرب، ص١٣٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ١، ص ٢٢٥.
١٤٨. الجنحاني، القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب (تونس ١٩٨٠م) ص١٦٢- ١٦٣.
١٤٩. ابن عذاري، البيان المغرب، جـ١، ص ١٥٣- ١٥٥.
١٥٠. البكري، المغرب، ص٦٧.
١٥١. الحريري، الدولة الرستمية، (الكويت ١٩٨٣م)، ص١٩٥.
١٥٢. ابن عذاري، البيان المغرب، جـ١، ص ١٥٤.
١٥٣. حسن حسني عبدالوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، (تونس ١٩٦٦م)، جـ٢، ص١٩٣- ١٩٥.
١٥٤. الجيلالي، تاريخ الجزائر، (بيروت ١٩٦٥م) جـ١، ص٢٤١- ٢٤٣.
١٥٥. ابن الفرض، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، (القاهرة ١٩٦٦م) جـ١، ص٢٦٨.
١٥٦. حسن حسني عبدالوهاب، ورقات، جـ١، ص٢٥٦؛ حتى علق البعض بالقول بأن إجادة الشاعر بكر بن حماد للأدب والشعر واللغة قد تركت أثرا واضحا في ملكته الشعرية؛ (رابح نوبار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، (الجزائر ١٩٦٨م) ص١٢٠- ١٢٦).
١٥٧. ابن عذاري، البيان المغرب، جـ١، ص ١٥٣.
١٥٨. جودت عبدالكريم، العلاقات الخارجية، ص ١٧٧.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

أولاً المخطوطات

١- **الـدرجيني:** (أبـو العبـاس أحمـد، ت/ منتصف القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي)
- طبقـات الأباضـية، الجـزء الأول، مخطوط بدار الكتب، برقم ٢١٥٦١ح.

٢- **أبـو زكريـا:** (يحيـي بـن أبـي بكـر، ت/ النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع الهجري- العاشر الميلادي)
- كتـاب السـيرة وأخبـار الأئمـة، مخطـوط بدار الكتب، برقم ٩٠٣٠ح.

ثانيًا المصادر:

١- **ابـن الأثيـر** (محمد بـن محمد بـن عبـدالكريم بـن عبدالواحد الشيباني، ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):
- الكامل في التاريخ، الجزء الخامس، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٣م.

٢- **الإدريسـي** (أبـو عبـدالله محمد بـن محمد إدريـس الحموي الحسني، ت٥٥٨هـ /١١٦٣م):
- نزهـة المشـتاق فـي إختـراق الآفـاق، الجـزء الثالث، نابولي ١٩٧٢.

٣- **الباروني** (سليمان بن عبدالله)
- الأزهـار الرياضـية فـي أخبـار الأباضـية، القاهرة ١٣٢٤هـ.

٤- **ابـن بطوطـة** (محمد بـن عبـدالله بـن محمد بـن إبراهيم اللواتي، ت٧٧٩هـ- ١٣٧٧م)
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة، بيروت ١٩٦٠م.

٥- **البغدادي** (أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد، ت٤٢٩هـ-١٠٣٧م)
- الفرق بين الفرق، تعليق محمد بدر، القاهرة ١٩١٠م.

٦- **البكري** (أبو عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز، ت٤٨٧هـ-١١٠٣م):
- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر ١٨٥٧م.

٧- **ابن حوقل** (أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت/ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)
- صورة الأرض، بيروت ١٩٦٤م.

٨- **ابـن الخطيـب** (لسـان الـدين بـن محمد بـن الخطيب السليماني، ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م):
- الجزء الثالث من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام، نشر أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتابي، تحت عنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضا، ١٩٦٤م.

٩- **ابـن خلـدون** (عبـدالرحمن بـن محمد، ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):
- مقدمة كتاب العبر، بيروت ١٩٥٦م.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، أجزاء ٤، ٦، ٧، بيروت ١٩٧١م.

١٠- **الـدباغ** (عبـدالرحمن بـن محمد بـن عبـدالله الأنصاري، ت٦٩٦هـ- ١٢٩٧م)
- معـالم الإيمـان فـي معرفـة أهـل القيـروان، الجزء الأول، تحقيق إبراهيم شبوح، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٨هـ.

١١- **ابن أبي دينار** (أبو عبدالله محمد بن القاسم، ت/ القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي)
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس ١٩٦٧م
١٢- **الرقيق القيرواني** (إبراهيم القاسم القيرواني، ت/ النصف الأول من القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي)
- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس ١٩٦٨م.
١٣- **ابن أبي زرع** (أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي، ت/ النصف الأول من القرن الثامن الهجري- الرابع عشر الميلادي):
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٢م.
١٤- **السلاوي** (أحمد بن خالد الناصري، ت/ ١٣١٥هـ/١٨٩٧م):
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الجزء الأول، الدار البيضاء ١٩٥٤م.
١٥- **الشماخي** (أحمد بن سعيد بن عبدالواحد، ت٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)
- السير، بدون تاريخ.
١٦- **ابن الصغير**(ابن الصغير المالكي، ت/ نهاية القرن الثالث الهجري- التاسع الميلادي)
- أخبار الأئمة الرستمية، نشر بعنوان: Chronique d,Ibn Saghir Sur Les Imams Rostemides Les Cahiers de Tunisie, 23(1975)
١٧- **ابن عبدالحكم** (عبدالرحمن بن عبدالحكم، ت/ ٢٥٧- ٨٧١)
- فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبدالمنعم عامر، القاهرة ١٩٦١م.
١٨- **ابن العبري** (غريغوريوس أبي الفرج هارون، ت/ ٦٨٥هـ- ١٢٨٦م)
- تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطوان صلحاني، بيروت ١٩٥٨م.
١٩- **ابن عذاري**، (محمد بن عذاري المراكشي، ت/ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي):
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق ليفي بروفنسال، ليدن ١٩٤٨م.
٢٠- **الغزالي** (أبو حامد محمد بن محمد، ت٥٠٥هـ/ ١١١١م).
- الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق إبراهيم أكاه، حسين اتاي، أنقرة ١٩٦٢م.
٢١- **ابن الفرضي** (عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي، ت/٤٠٣هـ- ١٠١٢م)
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، القاهرة ١٩٦٦م.
٢٢- **القلقشندي** (ابو العباس أحمد بن علي، ت/ ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الخامس، القاهرة ١٩١٤م.

٢٣- **ابن القوطية** (محمد بن عمر بن عبدالعزيز، ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)
- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢٤- **مجهول** (ت القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي):
- الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، الإسكندرية ١٩٥٨م.

٢٥- **المراكشي** (عبدالواحد بن علي التميمي ت/ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي، القاهرة ١٩٤٩م.

٢٦- **الوزان** (الحسن بن أحمد، ت/٩٤٤هـ- ١٥٣٧م)
- وصف افريقيا، ترجمة عبدالرحمن حميدة، مراجعة د. علي عبدالواحد وافي، الرياض ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٧- **ياقوت** (شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الرومي، ت/٦٢٦هـ-١٢٢٩م)
- معجم البلدان، الجزء الثاني، بيروت ١٩٩٥م.

٢٨- **اليعقوبي** (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت/٢٨٤هـ- ٨٩٧م)
- كتاب البلدان، ليدن ١٨٩٢م.

ثالثًا المراجع العربية والمترجمة:

١- **بروفنسال، ليفي:**
- الإسلام في المغرب والأندلس، (القاهرة بدون تاريخ).

٢- **بونار، رابح أحمد:**
- المغرب العربي تاريخه وثقافته، (الجزائر ١٩٦٨م).

٣- **الجنحاني الحبيب:**
- القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية للمغرب الإسلامي (تونس ١٩٨٠م)

٤- **جودت عبدالكريم:**
- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، (الجزائر ١٩٨٤)

٥- **الجيلالي، عبدالرحمن بن محمد:**
- تاريخ الجزائر، الجزء الأول، (بيروت ١٩٦٥م)

٦- **الحبيب ثامر:**
- هذه تونس، تقديم الرشيد إدريس، تحقيق حماد الساحلي، (بيروت ١٩٨٨م)

٧- **الحريري، محمد عيسى:**
- الدولة الرستمية، (الكويت ١٩٨٣م)

٨- **حسن أحمد محمود:**
- قيام دولة المرابطين، (القاهرة ١٩٥٧م).

٩- **الحسن السائح:**
- الحضارة المغربية عبر التاريخ، الجزء الأول، الطبعة الأولى، (الدار البيضاء ١٩٧٥م)

١٠- **حسن حسني عبدالوهاب:**
- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، أجزاء ١، ٢ (تونس ١٩٦٥- ١٩٦٦م)

١١- **دوزي:**
- تاريخ مسلمي أسبانيا، الجزء الأول، (القاهرة ١٩٦٣م)

١٢- **سعد زغلول عبدالحميد:**
- تاريخ المغرب العربي، الجزء الأول، (القاهرة ١٩٦٥م)

١٣- **شكري فيصل:**
- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، (القاهرة ١٩٥٢)

١٤- **العبادي، أحمد مختار:**
- في التاريخ العباسي والفاطمي، (الإسكندرية ١٩٨٧م)
- في تاريخ المغرب والأندلس، (الإسكندرية بدون تاريخ)

١٥- **عبدالرحمن بشير:**
- اليهود في المغرب العربي، (القاهرة ٢٠٠١م)

١٦- **عبدالرحمن زكي:**
- تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقية الغربية، (القاهرة ١٩٦١م)

١٧- **عبدالمنعم ماجد:**
- التاريخ السياسي للدولة العربية، الجزء الثاني، (القاهرة ١٩٧٢م)

١٨- **لومبار، موريس:**
- الإسلام في عظمته الأولى، (بيروت ١٩٧٧م).

١٩- **محمد كرد علي:**
- الإسلام والحضارة العربية، الجزء الأول، (القاهرة ١٩٦٨م).

٢٠- **محمود إسماعيل عبدالرازق:**
- قضايا في التاريخ الإسلامي، (القاهرة ١٩٧٤م).
- الخوارج في بلاد المغرب، (القاهرة ١٩٨٦م).
- مغربيات، (فاس ١٩٧٧).

٢١- **مصطفى أبو ضيف أحمد:**
- أثر العرب في تاريخ المغرب، (القاهرة ١٩٨٣م).

٢٢- **هاشم القاسمي العلوي:**
- مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، وزارة الأوقاف المغربية (١٩٩٥م).

٢٣- **يحيي هويدي:**
- تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، الجزء الأول (بدون).

رابعًا: الرسائل العلمية

١- **عودة حسان أبو شيخة**
- بنو المهلب في المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس (١٩٩١م).

خامسًا: الدوريات والمراجع الأجنبية

أ- **الدوريات والمجلات الأجنبية**

- **Bermijo, J. V:**
La Cora de Tudmir, (Murcia),37 (Al Andalus 1972).

ب- **المراجع الأجنبية**

- **Fournel, H:**
Le Berbers, Etude Sur La Conquete de l, Afrique Par Les Arabes, Vol, 1-2 (Paris, 1875).
- **Goitein, s. D:**

- **Mercier, E:**
Histoire de l, Afrique Septentrionale, Depuis Le Temps, Les Plus Recules Jusque La Conquete Francais, voL 1.(Paris 1888).
- **Sell.E:**
Muslim Conquests in North Africa (Madrid, 1914).
Mediterranan Society, Jewish Communities Of Arab World as Patrayed in the Documents of the Cairo Geniza, University of (California 1967).
- **Julien, A:**
History of North Africa, (London 1970).
- **Marcais, G:**
Le Berberie Musulman et L,orient au Moyen age. (Paris, 1946).